ليست الحاجة الى التشريع لان الحبر على ورق لا يلد نفوساً جديدة . الحاجة الى تربية الهية سامية — لا حيوانية سافلة — تربية تقمّص النفوس الانسانية في طبيعة غير طبيعتها الحالية — تنزع الاطماع من القلوب — تسكب المحبة الحقيقية فيها — تنشئ الرحمة والرأفة — تحيي الضمائر الميتة

قبل الشرائع الاجتماعية يجب ان تنفذ الشرائع الروحية . يجب ان تتهذب الروح فيرضى الجسد . يجب ان يولّى الضمير قبل ان يقام القاضي في منصة المحكمة — يجب ان يُطرد الرجيم قبل ان يُستفتى الحكيم

نقولا الحداد

---

# اصلاح تركيا

## تاريخه وماهيته وتأثيره

## وروح ابطاله

---

## تابع نبذة أُولى

### فذلكة تاريخية في القرن الماضي من حكم محمود حتى حصل الانقلاب الحاضر

---

### ٢ — حكم جلالة السلطان عبد الحميد الحالي

يُعدّ جلالة السلطان عبد الحميد أقدر السلاطين وأشدهم دهاءً وحنكة وهو ممتاز بقوة عقله وجلده ولكن تعوزه قوة الجنان وحسن الثقة اذ لم تكن له ثقة حتى باعوانه والمحيطين به ولولا ذلك لاستطاع ان يخدم المملكة أجل الخدم . ولذلك اضطر ان يعتمد على السلطة المطلقة لكي يصون حياته وعرشه

فكان يأمر وينهى ويبت وحده في كل أمر حتى في أعظم الامور وأحقرها . وكان في حرب الدولة وروسيا يصدر الاوامر للجيش من قصره . فجرد كبار الدولة حتى وزراءه من كل نفوذ أو قوة أو رأي سياسي وحصر هذه الامور في نفسه ولهذا كان يستقوي به رجال حاشيته

على ان هذه السياسة لم تضمن له سلامة العرش تماماً لانها أكثرت اعداءه ودعت الى القلاقل والاضطرابات المتوالية في كل مدة حكمه فكان يقوى على تلك القلاقل بعصا الاستبداد الحديدية . وهكذا كان التنازع بين سيطرته المطلقة وحرية الشعب يشتد والخطوب تتفاقم فكلما انفتق فتق في المملكة رقعه ما أمكن حتى لما صارت سياسة البلاد كلها رتوقاً من جراء احكامه واحكام سالفيه صارت ممالك بني عثمان تفلت من ايديهم الواحدة بعد الاخرى . فبعضها استقلت استقلالاً ادارياً تحت حماية الدول وبعضها انتقلت الى تحت سلطة الدول الاخرى . فاليونان انفصلت أولاً ثم تلتها مولدافيا ثم والاشيا ثم اتحدتا تحت اسم رومانيا . ثم مملكة السرب . ثم احتلت النمسا البوسنة والهرسك . ثم استقلت بلغاريا . ثم وقعت مصر في قبضة انكلترا

وكان من ذلك ان الارمن تجرأوا الى طلب الاستقلال والمكدونيين جعلوا يجاهدون فيه ايضاً والاعراب في بلاد العرب أخذوا يسعون الى الانعتاق من حكم الاتراك

ولاول عهد تبوء العرش امتدت ثورة البوسنه الى بلغاريا وحصلت المذابح التي أثارت اهالي السرب والجبل الاسود . وضاق ذرع الدول عن حصول ضمانة من تركيا لحفظ الامن وتنظيم الحكومة . وفي سنة ١٨٧٧ اعلنت روسيا الحرب

وكانت النمسا على الحياد بموجب معاهدة سرية مع روسيا تعدها هذه بموجبها ان تسمح لها باحتلال البوسنه والهرسك اذا هي مدّت نفوذها الى كل

البلقان . على ان مذابح بلغاريا كانت رهيبة جداً حتى ان انكلترا لعهد اللورد بيكونسفيلد ظلت على الحياد وبقيت تركيا بلا نصير . فدخل الروس بلغاريا في ايار واجتاحوا البلقان . وعند ذاك احتل عثمان باشا بلفنا وحصنها ليمنع تقدم الروس . ولكن في كانون اول وقعت بلفنا في ايدي الروس فاتحدت جنود رومانيا وزحفت الى الاستانة . وتقدم الروس ايضاً حتى صاروا على حدودها . وكانت جنود روسيا قد تقدمت في الاناضول الى ارزروم وحاصرتها ايضاً . وعند ذلك عُقد الصلح في سان استفانو سنة ١٨٧٨ . وكان من مواد معاهدة الصلح استقلال السرب والجبل الاسود ورومانيا . وبلغاريا اعتُبرت مستقلة استقلالاً ادارياً تدفع الجزية للباب العالي . وكريت وتساليا وابيروس تُصلَّح على يد لجنة اوروبية

ولكن انكلترا لم ترضَ بهذه المعاهدة حتى افضى الأمر الى استعدادها للحرب فارسلت اسطولها الى الدردنيل وجنودها الى مالطا . ولهذا اضطرت روسيا ان تضع المعاهدة بين ايدي مؤتمر اوروبي في برلين بحسب اتفاق روسيا وانكلترا السري وهناك تنقحت معاهدة سان استفانو وأهمها تضييق حدود بلغاريا وقسمها الى قسمين . فشمالي البلقان منها استقل استقلالاً ادارياً والجنوب جُعل مقاطعة باسم الروملي خاضعة للسلطان وحاكمها نصراني وهي مستقلة ادارياً . واوستريا أخذت البوسنه والهرسك . والمقاطعات التي مُنحت الى السرب والجبل الاسود تضيقت حدودها وكذلك انقص ما أُعطي لروسيا في آسيا

وقد وعدت تركيا بالاصلاح . وانكلترا تعهدت بالدفاع عن تركيا في اسيا وأخذت قبرص جزاء ذلك

ثم نظمت لجنة اوروبية الروملي الغربية وكانت النتيجة حسنة ثم تظاهرت انكلترا مظاهرة بحرية قضت بالتنازل عن دولسينيو الى الجبل الاسود وعن تساليا

الى اليونان وتعين الامير اسكندر باتانبرغ امير بلغاريا

وفي سنة ١٨٨٥ اتحدت بلغاريا والروملي الشرقية . على ان هذا الاتحاد ساء روسيا وبايعازها اختطف البرنس اسكندر واجبر ان يتنازل عن الامارة . أما الباب العالي فلم ينجد بلغاريا في ذلك

ومنذ عقد من السنين شبت الحرب بين تركيا وابنتها اليونان لاجل كريت فكانت نتيجتها ان كريت استقلت استقلالاً ادارياً وتعين البرنس جورج حاكماً لها . وفي سنة ١٨٩٨ كان الالبان يعتدون على البلغاريين والسرب وأهل الجبل الاسود المقيمين في مكدونيا وحكوماتهم تطلب من الباب العالي النظر في الامر وتستنجد الدول فكانت نتيجة ذلك ارسال لجنات للتحقيق الى البانيا وتقوية الجندية هناك . وفي سنة ١٩٠١ استعفى كاظم باشا والي سكوداري في البانيا وقائد الجندية لان الاستانة لم تعضده في حفظ الامن . ومن ثم نشأت المسألة المكدونية وهي جعل مكدونيا مستقلة استقلالاً ادارياً

• — تركيا الفتاة

ليس لجمعية ,, تركيا الفتاة ،، تاريخ مدوّن . ولهذا يستصعب الآن التوصل الى الحقائق الراهنة عن تاريخها لانه بعد اعلان الدستور صار كثيرون ينتمون لهذه الجمعية ويدّعون انهم احرار كانوا من حزبها . ولهم اقوال متضاربة في تقارير اعمالها يتعذر الاهتداء الى الحقيقة منها

على أن المأثور انها نشأت حزباً لا جمعية لعهد السلطان عبد العزيز حين كان الفساد يتفشى في جسم الدولة والسوس ينخر في جذع الحكومة وحرية القول لم تزل مطلقة . في ذلك العهد ظهرت ناشئة الاتراك الجديدة متهافتة الى المدنية الحديثة وكان بعض فتيانها يدرسون في كليات اوروبا ولا سيما باريس ويشاهدون معالم المدنية ويتمرّسون على السياسة الدستورية ومدارس اوروبا

تنفخ فيهم روح الحرية والحكم النيابي ومبادئ الاصلاح . حتى اذا عاد بعضهم الى الاستانة جعلوا ينشئون الجرائد الحرّة ويجردون الاقلام للجهاد في طلب الاصلاح تفادياً من وقوع المملكة في براثن الدول الاوروبية أو سقوطها على نفسها . وكانوا هم حزب الاصلاح

وقد روى سعادة منجي بك القنصل العثماني العام في نيويورك في مقالة عن تركيا الفتاة نشرتها مجلة الاندبندنت وجريدة الجامعة نشرت تعريبها بقلم بشور افندي بشور — روى تعليلاً لاطلاق الاسم ,, تركيا الفتاة ,, على حزب الاصلاح فقال : ,, ان اولئك الشبان الذين درسوا في باريس كانوا على جانب كبير من الذكاء والنجابة . فيوماً ما بينما كان الاستاذ في قاعة الدرس يشرح الامثولة لصفه ذكر شيئاً عنهم وقال ,, انظروا كيف ان فتيان تركيا متفرّدون بذكائهم وهزلهم ,, فأُطلق عليهم اسم ,, فتيان تركيا ,, أو ,, تركيا الفتاة ,, في العالم التركي منذ ذلك الحين ,,

وكما سبق القول لم يكن السلطان عبد العزيز داهية زمانه ليحسب حساباً لهذه النهضة فاما ان يهتم بالاصلاح ليرقي البلاد او يحوّل سهام تلك الاقلام ويخرس الالسنة ويطفئ مصباح المعرفة ويسير بالشعب في ظلمات الظلم . ولهذا افضى التنازع بين الحرية والفساد الى خلعه

ولما تبوّأ العرش جلالة السلطان عبد الحميد الثاني وكان الفساد قد فشا في كل المملكة وصار مرضاً عضالاً في جسم الدولة وجد ( على ما نظن ) ان اهتمامه بالاصلاح يعرّض عرشه للتداعي ولا سيما اذا اشرك كبراء الشعب معه بالحكم بحسب الدستور فلا يأمن الخلع الذي لم يأمنه عمه السلطان عبد العزيز واخوه السلطان مراد قبله . فرأى نفسه بين ويلين : ويل المجازفة بالعرش وويل استمرار الحكومة على فسادها فآثر الثاني لانه أسلم له . وألقى على البلاد

كف الاستبداد فنفّر الاحرار راغبي الاصلاح وخافوا سوء المغبة فجعلوا يفرّون من السلطة ودنا من العرش المملقون والمراؤون وجعلوا يعضدون الاستبداد . ومن ذلك نشأت الجاسوسية واشتد الظلم وصار الاحرار حتى غير المشتغلين بالسياسة يفرون من وجه الجاسوسية الى اوروبا ومن ثمّ ألّف النافذون والمقتدرون منهم جمعية ,, تركيا الفتاة ،، ولم يكن لهم من الاعمال ما يستحق الذكر سوى الكتابة في الجرائد والتنديد بالحكومة ذلك لان وطأة الحكومة الاستبدادية كانت شديدة جداً حتى لم يعد للاحرار قوة في مسعى من المساعي الاصلاحية

ويقال ان مركز هذه الجمعية كان في سويسرا حيث يأمن الاحرار على أنفسهم من أوامر الدولة بالقبض عليهم لان حكومة سويسرا لا تسلم المجرمين السياسيين . وكان ظهورها علناً في جنيف سنة ١٨٩١ على انها لم تكن منظمة كالواجب ولم تكن مقاصدها واضحة لتضارب غايات المنتمين اليها . ومع ذلك كان السلطان واعوانه يحسبون حسابها ويزداد حسبانهم منها عاماً بعد عام

### ٦ ــ جمعية الاتحاد والترقي العثمانية

وما زال الظلم يتفاقم في تركيا والاستبداد تشتد وطأته حتى عمّ كل ذي مكانة في المملكة ولم يسلم منه الا المقربون لجلالة السلطان ولا سيما الجواسيس . ولا يخفى انه كلما اشتد الظلم والعسف على هذا النحو كان تقارب المظلومين أضمن واتحادهم أمكن وصاروا أميل الى حزب الاحرار . فلما اشتد الضغط ولم يعد في قوس الصبر منزع وقد بلغ السيل الزبى صار المضغوط عليهم في تركيا حتى في الاستانة نفسها أشد تعشقاً للحرية والاحرار . وصاروا يفكرون في الوسيلة المثلى للخلاص من شر هذا الاستبداد

رأوا ان حزب تركيا الفتاة لم يأتِ في الثلاثين سنة الماضية شيئاً لانه لا قوة له البتة . فجعلوا يفكرون في كيف يستقوي هذا الحزب حتى يحارب

الاستبداد او يتغلّب على حكومة المستبدين الضاغطة و يقلبها و يقيم مقامها حكومة احرار مصلحة . فلم يجدوا وسيلة الا استلاب القوة من يد الحكومة الاستبدادية — استلاب الجيش

وعلى ذلك رأوا أن يؤلفوا جمعية جديدة منظمة سرية تقيد اعضاءها بالايامين والاقسام العظيمة و بالتهديدات المخيفة وان ينشروا هذه الجمعية في كل المملكة ولاسيما بين ضباط الجيش حتى متى صار معظم الضباط من اعضائها صارت قوة الدولة في يدها وحينئذٍ يسهل عليها ان تقلب الحكومة الحاضرة وتقيم بدلها حكومة حرّة . وهكذا كان

ففي ٢٠ تشرين الاول سنة ١٩٠٤ اجتمع سرًّا بعض كبار البلاد الذين سئموا تلك الشرور والعبودية والاستبداد والمظالم وملُّوا تسئيد الطغام من المقربين لجلالة السلطان وغطرسة الجواسيس — اجتمعوا في منزل عبد الكريم كاتب اسرار السلطان على البوسفور ( كما ذكر محمد دمولين احد المجتمعين ) وألّفوا ,, جمعية الاتحاد والترقي العثمانية ،، ودعوا اليها كل من عرفوه مخلصاً للاصلاح من حزب تركيا الفتاة وجعلوا يسعون بنشرها على كل فئة يتوسمون فيها روح الحرية وعلى ضباط الجيش وقواده ايضاً . وفي عام ملأت كل المملكة

وفي اوائل الربيع الماضي وقد شعروا ان جمعيتهم قويت قرّروا ان ينفذوا غايتهم أي قلب الحكومة الاستبدادية واعادة الدستور فوضعوا لائحة أو عريضة يطلبون فيها مطالب مختلفة أهمها اعادة الدستور واسقاط الوزارة . وقرروا تقديمها لجلالة السلطان يوم عيد جلوسه أي في اول ايلول الماضي . واوعزوا الى ضباط الجيش وجميع موظفيه من اعضاء الجمعية ان يؤيدوا العريضة بان يتهددوا الحكومة بالعصيان اذا لم يجب المطالب وان اصرّ جلالة السلطان على عدم اعادة الدستور خلعوه

على ان مساعي الدول الاصلاحية (ولا سيما روسيا وانكلترا) في مكدونيا وانفضاح أمر هذه المكيدة قضت بتعجيل انفاذ القرار السابق ذكره لانه لو تأخر لاصبحت مكدونيا تحت سيطرة الدول الاوروبية وهذا ما لا يرضاه اهلها الذين هم أساس الحركة والمكيدة ولا يمكن حكومة الاستبداد ان تقمع الثورة وترد كيد الكائدين في نحورهم

وفي تموز الماضي لما علم جلالة السلطان ان الجيش في مكدونيا متمرد وان جميع مساعيه في تطويعه مخفقة لم يرَ بدًّا من اعلان الدستور في ٢٤ منه واسقاط الوزارة . فانشئت وزارة جديدة من الاحرار وما زالت ,, جمعية الاتحاد والترقي العثمانية ،، تتسيطر على الحكومة . ولما كان معظم اعضائها من رجال الجيش ونفوذها مستمدًا منه فتعتبر الحكومة الحاضرة تحت أمرة الجيش

## نبذة ثانية

### سر الانقلاب

#### التنازع بين الشعب والسلطة العليا لا بين الارستوقراطية والديموقراطية

دهش العالم اجمع ولا سيما العثمانيين من هذا الانقلاب الفجائي — في تركيا — من تحول الحكومة من مطلقة استبدادية الى مقيدة حرّة وتقمص القوة في جسم حكومة دستورية من غير سفك دم . واستغربوا سر هذا التحوّل المباغت الذي لم يسبق له مثيل في التاريخ — تعجبوا لانهم قاسوا تركيا على الممالك التي تحوّلت من ملكية الى جمهورية مثل فرنسا أو من مطلقة الى مقيدة مثل انكلترا . أو لانهم قاسوها على روسيا التي لا يزال الحكمان — المطلق والمقيد — يتنازعان فيها أي نزاع

على ان هذا القياس مبنيٌّ على مشابهات ظاهرة فقط . والحقيقة ان بين تركيا وغيرها اختلافاً جوهرياً من هذا القبيل . ففي انكلترا وروسيا وامثالهما يوجد تنازع بين الارستوقراطية والديموقراطية — بين الاعيان وهم حزب نافذ ولهم امتيازات ليست لسائر الشعب و بين العامة وهم حزب عديد ولكن أفراده ضعفاء ولا قوة لهم الا بالاتحاد والاعتصاب

ولكن التنازع في تركيا ليس بين الارستوقراطية والديموقراطية البتة بل بين الشعب كله والسلطة الحاكمة لانه لا ارستوقراطية في تركيا أي ان اعيان تركيا ليس لهم امتيازات خاصة بهم دون العامة حتى يؤلفوا حزباً للمحافظة على امتيازاتهم الارستوقراطية ويقاتلوا الديموقراطية ( أي يقاتلوا اشتراك العامة بالحكم) بل ان الاعيان كالعامة متساوون امام القوانين العثمانية والشرع الاسلامي الذي تستند اليه تركيا . فالشعب كله من اعيانٍ وعامة يؤلّف حزباً واحداً لتساويه في الحقوق وجلالة السلطان وحده حزبٌ آخر

هذا ما قضت به طبيعة الحال في المملكة العثمانية منذ نشوئها الى الآن ولهذا لم يقم فيها تنازع بين ارستوقراطيةٍ وديموقراطيةٍ فيما مضى بل كان التنازع بين ورثة العرش فقط فكان يكثر خلع السلاطين وقتلهم . ولم يحدث تنازع حاد بين الشعب والسلاطين لشدة تفوّق هؤلاء واستعلائهم واستقوائهم على الشعب من جهة ولضعف الشعب وجهالته وتعوّده الخنوع والطاعة من جهة أخرى

على انه لما اشتدّ ضغط السلاطين في العهد الاخير من جهة وأخذ الشعب يتنوّر ويُعدى بحرية اوروبا من جهة اخرى حتى انه صار يشعر بذلك الضغط نشأ التنازع بين الشعب والسلاطين منذ اواسط القرن الماضي وربما منذ بدئه كما علم القراء من نبذتنا الاولى ان الاهتمام بالاصلاح ابتدأ لعهد السلطان محمد الثاني . ولا يخفى ان السلطان لا يتبرع بهذا الاهتمام من نفسه فلا بد ان الشعب

كان يطالب به أو ان تذمر الشعب كان داعياً له

نعم ان جانباً من الاعيان كانوا يلتفون حول العرش ويعضدونه ويؤيدونه ولكنهم لا يؤلفون حزباً ارستوقراطياً البتة لان لا امتيازات قانونية لهم كما تقدم ولا يلتفون حول العرش ويؤيدون سلطته المطلقة الا طمعاً بما يتوقعونه من المنافع الذاتية غير القانونية والنفوذ الشخصي والتملص من سلطة القانون كما كان يفعل رجال المابين الهمايوني والجواسيس حتى بدّدهم فوز الشعب بالدستور مؤخراً. فهم لم يكونوا حزباً رسمياً يتنازع حزب العامة حقاً. ولكنهم كانوا انصار حزب السلطة الشرعية العليا — انصار جلالة السلطان الذي هو وحده الحزب المقابل لحزب الشعب

واذ قد اتضح ذلك جلياً صار يسهل على القارئ ان يفهم سر ذلك الانقلاب الفجائي وفوز الشعب على السلطان بغتة ونزع السلطة المطلقة من يده وتقييده بالحكم النيابي

جلالة السلطان وحده حزب ضعيف جداً فلا بد ان يستقوي عليه الشعب لانه اقوى فعلاً وحقاً. السلطان حزب ضعيف بالنسبة الى حزب الشعب أولاً لانه فرد امام جمهور

وثانياً لان الشرع الاسلامي الذي تستند اليه الدولة العثمانية يؤيد ,,الشورى،، (الحكومة النيابية — الدستورية) أي انه يتحيز للشعب ويؤيد دعواه على السلطان ويعضد طلبه للدستور. ويصرّح بان السلطان مستولٍ على اكثر من حقه

وما ثبتت سلطة جلالة السلطان عبد الحميد الثاني مدة الاثنين وثلاثين سنة السابقة وصولة اسلافه الا بقوة الاستبداد التي ضربت على ايدي الشعب الساذج وبمناصرة الاعوان الذين كانوا يؤيدون العرش طمعاً بغاياتهم النفسانية ومطامعهم الاشعبية. ولكن لما اشتد الضغط في عهد العلم لم تعد الظلمة تستطيع الثبوت امام النور فسقط الاستبداد وقامت الحرية

وربما لاح للقارئ الكريم ان الفوز لم يكن للشعب في المعركة الاخيرة التي

ربما تُعدُّ الوحيدة في تاريخ التنازع بين الحكمين المطلق والمقيد في تركيا بل للجيش ولهذا لا يصح القول ان الشعب حزب ضد حزب السلطان — فاقول: ليس الجيش الا زبدة الشعب ونواته وممثل حزب الشعب لانه لا جندي الا له اهل واصدقاء وجماعة في الامة او بالعكس لا اسرة او جماعة في الامة الا لها فردٌ في الجندية يمثلها . فالجنود نواب الشعب وفوزهم في هذا التنازع فوز الشعب . والطريقة التي تمّ بها الفوز ليست الا صورة اعتصاب الشعب في طلب حقه بالدستور ونيله وان لم تكن طريقة شرعية

والذي يؤكد لك ان الشعب كله هو الحزب المقاوم لحزب السلطة وله ينسب الفوز انما هو ان افراد الامة على اختلاف مللهم ونحلهم في مصر وسوريا الى ارمينيا والاناضول والبلقان استقبلوا نعمة الدستور بالابتهاج العظيم وكأن فوزهم علّة اتحادهم ونبذ التعصبات المذهبية بينهم وتناسي الاحقاد والضغائن وتعاهدهم على ان يتحدوا في ترقية مملكة عثمانية جديدة

نقولا الحداد

---

# صنائع الملوك

لا كثر ملوك اوروبا وملكاتها صناعات يولعون بها بغية التسلية من جهة وبغية تشريفها في اعين العامة من جهة اخرى فمن ذلك ان جلالة الكسندرا ملكة انكلترا الحالية بارعة جداً في التصوير الفوتوغرافي . ومن جملة الصور التي اقتبستها صورة جسر كانت السنب لوقاية السكة الحديدية التي تمر عليه من خطر جسيم . فانها رأت في تلك الصورة دلائل عطب في الجسر لم يفطن له المهندس فنبهت الملك لذلك وفي الحال اوعز بالامر الى المهندس فامتحن الجسر وتحقق العطب فيه . وعند جلالتها طاقم شاي ذي ٦٠ قطعة كل واحدة منها مزدانة بصورة تصويرها